

الحلقة التاسعة

سفر الجامعة

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك مستمعي العزيز في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

وفي اللقاء الماضي تحدّث سليمان الحكيم عن كيفية التمتع بالحياة. وقال إن الله يريدنا أن نتمتع بالحياة ونحن قرييون منه وعلى علاقة معه. وعندما نحظى برضاه يُنعم علينا بالحكمة والمعرفة والفرح. وفي المقابل إن الإنسان الذي لم يعرف الله، ستظل حياته مليئة بالشقاء، ولن يتمتع بالحياة.

مستمعي الكريم، ما هي نظرتك للوقت؟ وهل إن الوقت لا قيمة له بالنسبة لك؟ وهل تضيع الكثير من الفرص الثمينة عليك؟ أم تراك تستفيد من الوقت وتحاول استغلاله قدر الإمكان؟ وهل تعلم أن الوقت ثمين جداً، وكل دقيقة تمر لن تعود أبداً. كتب سليمان الحكيم قائلاً:

« لكل شيء زمانٌ، ولكل أمر تحت السموات وقتٌ. للولادة وقتٌ، وللموت وقتٌ. للغرس وقتٌ، ولقلع المغروس وقتٌ. للقتل وقتٌ، وللشفاء وقتٌ. للهدم وقتٌ، وللبناء وقتٌ. للبكاء وقتٌ، وللضحك وقتٌ. للنوح وقتٌ، وللرقص وقتٌ. لتفريق الحجارة وقتٌ، ولجمع الحجارة وقتٌ. للمعانقة وقتٌ، وللإنفصال عن المعانقة وقتٌ. للكسب وقتٌ، وللخسارة وقتٌ. للصيانة وقتٌ، وللطرح وقتٌ. للتمزيق وقتٌ، والتخييط وقتٌ. للسكوت وقتٌ وللتكلم وقتٌ. للحب وقتٌ، وللبغضة وقتٌ. للحرب وقتٌ، وللصلح وقتٌ»
(الجامعة ٣: ١-٨).

هل تعلم مستمعي أن الله الخالق عيّن الأوقات ونظّمها لفائدة الإنسان؟ فعندما خلق الله العالم، جعل الشمس والقمر لتفصل بين النهار والليل، ولتنظّم الأوقات والأيام والسنين. فالיום تبلغ مدّته أربعاً وعشرين ساعة، والسنة ثلاثمائة وستة وخمسون يوماً، والفصول أربعة الشتاء والربيع والصيف والخريف. إن الله الخالق هو إله التنظيم. لهذا نجد سليمان الحكيم يؤكد على هذه الحقيقة الهامة أن لكل شيء زمان، ولكل أمر تحت السموات وقت. فالإنسان يولد في زمن معيّن، ويموت في زمن معيّن. وحياة الإنسان تُحسب بالسنين. ولهذا عليه أن يستفيد من هذا الزمن الذي وضعه الله بين أيديه.

وكما قال سليمان الحكيم لكل شيء وقتاً، فللبناء وقت وللهدم وقت. وكذلك للبكاء وقت، وللضحك وقت. للكسب وقت وللخسارة وقت. للحب وقت وللبغضة وقت. للحرب وقت وللصلح وقت. للدراسة وقت، وللراحة وقت. ولهذا على الإنسان أن يعرف كيف يستخدم المناسبة المتاحة أمامه أفضل استخدام. إنه لأمر سيء إذا قام الإنسان بفعل شيء عكس ما تقتضيه مناسبة معينة. فلا أحد يضحك أثناء المآتم، وعندما يكون الناس في حزن على الفقيد. ولا أحد يبكي في الأعراس والاحتفالات المبهجة. وكذلك لا أحد يقوم بهدم ما بينيه. وهكذا إلى غيرها من الأمثلة.

وعندما يفشل الإنسان في استخدام وقته وبالطريقة الصحيحة، لا يستطيع أن يحقق الهدف الذي يسعى إليه. فعندما يتهاون الطالب في وقت الدراسة، لن يحقق النجاح الذي كان يصبو إليه. وكذلك العامل أو الموظف عندما لا يعملان في وقت العمل، سيحصلان الخسارة بدل الربح. إن حكمة الحياة هي معرفة الأزمنة، وكل وقت يأتيها محملاً بتحدياته الخاص وفرصته الخاصة. هل تعلم مستمعي أن معرفة الوقت المناسب للقيام بعمل ما هو الطريق الصحيح للنجاح؟ بينما إضاعة هذه الفرصة سيؤدي إلى الخسارة الأكيدة؟ وكم من إنسان ندم وبعد فوات الأوان، على الفرصة التي أضاعها.

وكما يجب على الإنسان أن يستغل الوقت، هكذا عليه أن يستفيد من حياته القصيرة هنا على الأرض. فحياة الإنسان مهما امتدت تظل قصيرة بالنسبة للأبدية التي ستأتي عليه. وها هو الرسول يعقوب من رسل المسيحية الأوائل، يكتب قائلاً: « ما هي حياتكم. إنها بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل » (يعقوب ٤: ١٤). أجل مستمعي، إن حياتنا إذا قيست بالأبدية التي لا نهاية لها، هي كالبخار الذي يظهر قليلاً ثم يضمحل. إن السؤال الآن هو: كيف نستفيد من هذا الوقت القصير الذي أتاه الله لنا؟ هل نصرفه في الخطيئة والأفعال الشريرة فنخسر أبديتنا؟ أم ترانا نقضيه بحسب مشيئة الله وإرادته فنربحها؟

قد يقول قائل: دعني أسر بهذه الحياة وأتمتع بملذاتها، ثم عندما أصبح كبيراً في السن أتوب عن ذنوبي، وأبتعد عن الشر، وأسلك بحسب إرادة الله ومشيئته؟ لكن تمهل يا صديقي، هل تعلم متى سيأتي أجلك؟ وهل أنت متأكد أن الفرصة ستظل مفتوحة أمامك في المستقبل؟ تقول كلمة الله الحية: « اليوم إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم » (عبرانيين ٤: ٧ب). والسبب لأن هناك خطراً كبيراً أن يتقسي قلبك بغرور الخطيئة، وشهوات الجسد الفانية، فلا تعود تطلب التوبة، ومعرفة مشيئة الله لحياتك. ولهذا تدعوك كلمة الله اليوم، أن تأتي إلى الله، وليس غداً.

إنك الآن، اليوم، تسمع بشارة الخلاص المفرحة، أن المسيح المخلص قد أتى إلى عالمنا، ليحررك من عبودية الخطية، وليجعلك إنساناً جديداً ومن أولاد الله. إنساناً تفعل الصلاح والخير وتسلك بحسب مشيئة الله. فلماذا تؤجل الأمر إلى يوم غد، الذي لا تعرف عنه شيئاً، ولا تضمن مجيئه. وها هو الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل يكتب قائلاً: « هوذا الآن وقت مقبول. هوذا الآن يوم خلاص » (٢كورنثوس ٦: ٢ب). إن الله يدعوك اليوم لكي تتوب وتأتي إليه بالإيمان بالمخلص المسيح. فهل تلبّي الدعوة اليوم وتربح حياتك الأبدية؟

وينصحن الرسول بولس أيضاً قائلاً: « فانظروا كيف تسلكون بالتدقيق لا كجهلاء بل كحكماء. مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة » (أفسس ٥: ١٥ و١٦). إن افتداء الوقت يعني ربح الوقت. أي علينا أن نستفيد من الوقت المتوفر لدينا الآن، ونستغله، لكي نتوب عن خطايانا ونؤمن بالمخلص المسيح. فهل تراك مستمعي تحسن الاستفادة من الوقت المتاح لك في حياتك القصيرة هذه؟ وهكذا تتوب عن ذنوبك وتؤمن بالمخلص المسيح؟ وليس هذا فحسب بل تحصل على أعظم عطية مجانية في الوجود، ألا وهي عطية الغفران، والحياة الروحية الجديدة، والخلود!